الاستلزام الحواري في القرآن الكريم - سورة النمل إنموذجًا

م. د. رنا يحيى خليل كلية التربية - الجامعة المستنصرية
Phd. rana. khalil@gmail. com

المستخلص:

لم يقف التطور عند صعيد الحياة التكنولوجيّة، بل أخذ التطور يمس اللّغة بظهور مصطلحات حديثة لأساليب قديمة قد عرفتها العرب، ونحن إذ نتحدث عن ذلك فعلينا القول إنّ الدرس التداولي هو أحد مظاهر هذا التطور اللّغويّ على الصعيد المصطلحاتي، إذ إنّ التداولية وأبعادها وما لها وما عليها ليس ببعيد عن الرؤى العربيّة والدرس العربي القديم، وإذ ما أردنا التحديد أكثر وكي لا نبتعد عن مضمون البحث فإنّ ما يطلق عليه اليوم بالاستلزام الحواريّ ما هو إلّا مصطلح تداوليّ يتناول ما تكلّم به العرب سابقًا ضمن إطار مقتضى الحال أو خروج الكلام عن مقتضى الظاهر له، ونحن هنا نحاول البحث عن وجود هذا البعد التداوليّ _ الاستلزام الحواريّ _ في النص القرآنيّ، فكان مدار بحثنا عن هذا الخروج واللزوم لخروج المعاني والأساليب إلى غيرها في رحاب سورة النمل.

الكلمات المفتاحيّة: (الاستلزام الحواري، مبدأ التعاون، التداولية، مقتضى الحال، الخبر، الإنشاء)

Dialogical Implication in the Holy Quran - Surat An-Naml as a Model

Dr. Rana Yahya Khalil
College of Education - Al-Mustansiriya University

Phd. rana. khalil@gmail. Com

Abstract:

Development did not stop at the level of technological life, but rather development began to affect the language with the emergence of modern terms for old methods that the Arabs knew, and when we talk about that, we must say that the communicative lesson is one of the manifestations of this linguistic development at the terminological level, since communicatives and their dimensions and what they have and what they are not far from the Arab visions and the old Arab lesson, and if we want to be more specific and in order not to stray from the content of the research, what is called today the dialogical implication is nothing but a communicative term that deals with what the Arabs spoke previously within the framework of the requirements of the situation or the deviation of speech from the apparent requirements of it, and here we are trying to search for the existence of this communicative dimension - the dialogical implication - in the Qur'anic text, so the focus of our research was on this deviation and necessity for the deviation of meanings and methods to others in the spaciousness of Surat An-Naml.

Keywords: (dialogical implication, principle of cooperation, pragmatics, exigencies of the situation, news, construction)

المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد بن عبد الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين.

أمّا بعد:

يتناول الدرس التداولي الوقوف عند العديد من الظواهر اللغويّة والأساليب التي تعتمدها العرب في صياغة كلامهم؛ ولكون القرآن الكريم هو الكلام الإلهي المعجز الذي تحدى العرب، وجاء وفق أساليبهم وألفاظهم فقد تناولته الدراسات التداولية بكثير من العناية لبيان الأبعاد التداوليّة الموجودة في الخطاب القرآنيّ، وأحد هذه الأبعاد هو الاستلزام الحواريّ الذي كما قلنا سابقًا يمثل خروج الكلام عن مقتضى الظاهر عند البلاغيين العرب.

ينبع الاستلزام الحواري منطقيًا مما قيل في الكلام، وهذا يعني أنّ الجمل هي التي تحوي الاستلزام وليس المتكلمون، فجمل اللّغات الطبيعيّة تدلّ على معنى غير محتواها القضوي، ومن هنا يرى غرايس أنّ بعض الجمل تدلّ على معنيين اثنين في الوقت نفسه، أحدهما حرفيّ وهو المعنى القضويّ الذي تؤديه المفردات في الجملة، وثانيهما هو المعنى المستلزم، هنا جعل غرايس نظريته المحادثية التي تنص على أنّ التواصل الكلاميّ محكوم بمبدأ التعاون والمسلمات الحواريّة[*] (التداولية، 2010، ينظر:

[*] المسلمات الحواريّة، وهي أربع: (1. مسلمة القدر، أو مبدأ الكمية، أو قاعدة الكم. 2. مسلمة الكيف، أو مبدأ الكيفية، أو قاعدة النوع. 3. مسلمة الملاءمة، أو مبدأ العلاقة،

51)، (علي، 2018، ينظر: 226)، ويحصل الاستلزام الحواريّ أو المحادثي أو الخطابي عند خرق أيّ مسلمة من المسلمات الحواريّة؛ لكونها تشكل المبادئ المنظمة لكل محادثة، وهي ما يفترض على المتحدث أو المخاطب أو المحاور مراعاتها.

ولكون القرآن الكريم هذا الكتاب الإلهي الذي يمثل نهاية لفعلي التبشير والتنذير، وخلاصة لجميع الإشارات الإلهيّة عن ذاته وعن الغيب والشهادة، ولما في هذا الكتاب من إعجازٍ يمثل نهاية اللّغة واكتمال معانيها فلم يمكن القفز على لغة النص القرآنيّ التي تشغل حيزًا من مستقبل الإنسان وبداية خلقه والمعنى الذي يصبغه بشكلٍ نهائي على حاضره مهما كانت مرونته، فهو في كلّ مرة يربط اللغة بأسس الوجود، اللّغة التي تسبق الوجود والراهنية (ناصر، 2007، ينظر: 100)، وسورة النمل من السورة القرآنيّة التي لم تخلُ من اكتمالٍ للمعاني بلغةٍ معجزة لقومٍ يتحدثون بها؛ لذا نجد أنّ هذه السورة تتضمن الاستلزام الحواريّ من استعمال الأساليب العربيّة في مواضع غير مواضعها، وليس فقط على الصعيد الإنشائيّ المتمثل بالأساليب الطلبيّة بل حتى على الصعيد الخبريّ، فكان هذا هو سبب انطلاقنا في خوض غمار هذا البحث وبيان مواضع الاستلزام الحواري فيه على الصعيدين الخبريّ والإنشائيّ.

ومن خلال ما تقدم فقد تمَّ تقسيم البحث على مبحثين هما:

أ. المبحث الأول: الاستلزام الحواريّ الخبري.

ب. المبحث الثاني: الاستلزام الحواري الإنشائيّ.

أو مبدأ المناسبة. 4. مسلمة الجهة، أو مبدأ الطريقة، أو مبدأ الأسلوب، أو قاعدة الصيغة.)

المبحث الأول: الاستلزام الحواريّ الخبري:

من المتعارف عليه أنّ الأصل في الخبر هو لإفادة المتلقي بالحكم الذي يتضمنه القول وأن يخرج هذا القول على مقتضى الظاهر له من معرفة المعنى الحقيقي له، وبهذا عليه أن يكون وفق أضرب الخبر الثلاثة: (الابتدائيّ، الطلبي، الإنكاريّ)، وهذه الأضرب تراعي حال المتلقي فهو في الأول يكون لمتلقي خالي الذهن من أي حكم يُلقى عليه، وليس له علمٌ بموقف مسبق، كما في قوله تعالى: ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝﴾[النمل: 3، 2، 1]، فالمتلقي هنا خالي الذهن من عدّة أمور، هي:

1. ماهية الآيات في القرآن الكريم.
2. كون هذه الآيات والكتاب المبين فيها هدى وبشرى للمؤمنين.
3. المؤمن هو (مقيم الصلاة، مؤتي الزكاة، موقن باليوم الآخر).

أما الضرب الثاني من الخبر فهو موجّه لمتلقي يُعتقد أنّه شاك أو متردد، وهنا سيختلف الخطاب بأنّ يحتاج المتكلّم إلى استعمال صيغ خاصة لإزالة هذا التردد والشك عند المتلقي فيستعمل مؤكّدًا لفظيًا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ۝﴾[النمل: 5، 4]، المتلقي هنا قد يكون لديه شك من عواقب عدم الإيمان باليوم الآخر لكون ما سبق من الآيات تؤكّد أنّ من علامات المؤمن إيمانه باليوم الآخر، واستعمل النصّ القرآنيّ هنا الأداة (إنّ) المؤكّد اللفظي لإزالة الشك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾[النمل: 15]، جاء الخطاب هنا باستعمال (لقد) ليزيد من التوكيد ويذهب بالشك من ذهن المتلقي بما قد آتاه الله سبحانه وتعالى من العلم لداوود وسليمان لدرجة أن استوجب عليهما الحمد لفضله سبحانه على ما فضلهم به عمن سواهم من العباد.

وقوله تعالى: ﴿لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين۝﴾[النمل: 21]، وفي هذا الحوار القرآنيّ استعمل (اللام الموطئة للقسم) ليزيل الشك عن ذهن المتلقي بما سيحل على الهدهد إن لم يأتِ بعذر يبيّن فيه سبب تخلفه عن الحضور في مجلس سليمان(عليه السلام).

أما الضرب الثالث والأخير فهو موجّه لمتلقي لديه علم لكنه ينكر هذا الخبر وهو هنا يحتاج لأكثر من مؤكّد لفظي ليزيل الإنكار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ۝﴾[النمل: 16]، في هذه الآية يؤكّد سليمان لقومه الفضل الذي منحهم الله سبحانه وتعالى من معرفة منطق الطير وإتيانه من كلّ شيء، وبأنّ هذا هو الفضل المبين لمن ينكر ذلك فاستعمل النص القرآنيّ (إنّ + لام التوكيد = لإزالة الإنكار عند المتلقي).

بقي علينا من خلال ما تقدم ذكره من أضرب الخبر الثلاثة أنّ نتناول الحالات التي يخرج بها الخبر عن مقتضى الظاهر أي الاستلزام الحواري، وهي كالآتي (تومي، ينظر: 85):

1. إنزال خالي الذهن منزلة السائل المتردد: في هذه الحالة سيكون المتلقي بين ضربين من أضرب الخبر بين خالي الذهن من الحكم وبين المتردد الشاك في تلقي الخبر، وهذا ما سيوجب على المتكلّم بأنّ يستعمل أكثر من مؤكّد ليؤكّد الخبر عند المتلقي ليراعي الحالة التي هو فيها، ومن

ذلك ما جاء في قوله تعالى حينما خاطب موسى (عليه السلام): ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[النمل: 10]، في هذا النصّ الحواريّ وبعد أن كلّم الله موسى (عليه السلام) أمره بأن يلقي عصاه ليتحقق بذلك أمران:

الأول: إظهار إحدى المعاجز التي ستكون لنبي الله موسى (عليه السلام)، وهو ما سيحدث عند محاججة فرعون وقومه.

الثاني: وهو موطن الشاهد لدينا من توكيد كونه النبي المختار لبني إسرائيل، فحينما رأى الله من موسى (عليه السلام) الخوف والإدبار مما رآه استعمل التوكيد بعدم الخوف لكونه أحد المرسلين. فكان في الحوار طمأنينة لموسى (عليه السلام) الذي كان خالي الذهن من حكم نبوته ومترددًا شاكًا فيما يحدث حتى جاءه النصّ يحمل السكينة والطمأنينة من إثبات نبوته وكونه من المرسلين، فكان قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾إنّما هو تسكين منه سبحانه لموسى ونهي له عن الخوف بتأكيد أنّه مرسل والمرسل لدى الله لا يخاف فهو لا يفعل القبيح ولا يخل بالواجب كي يناله عقاب الله بما يتحقق فيه الخوف من ذلك (الطبرسي، 2006، ينظر: 7/ 226).

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[النمل: 34]، في هذه الحواريّة تخاطب ملكة سبأ قومها بعدم قتال سليمان وجنوده؛ لتوكيدها ذلك بأنّ الملوك إذا دخلوا القرية فإنّهم سيدخلوها عنوة عن قتال وغلبة، وهذا سيحقق الخراب والهلاك لها، ولا يقفون عند هذا بل سيجعلوا من أعزة القوم أذلة، إلى هنا فالخطاب فيه إخبار بما سيحدث عند القتال وهي هنا أنزلت المتلقي منزلة خالي الذهن مما قد يحدث، وبعدها تمّ توكيد الكلام

بإنزال المتلقي منزلة الشاك بما قالت بـ(وكذلك يفعلون) فهنا تأكيد للمتردد والمشكك بما قد يفعله الملوك بدخولهم القرية عنوة (الطبرسي، 2006، ينظر: 7/ 226).

2. إنزال غير المنكر منزلة المنكر: هنا يلاحظ على المتلقي غير المنكر علامات المنكر فيتم إنزاله منزلة المنكر، فيلجأ المتكلّم هنا لاستعمال المؤكدات التي يستعملها مع المنكر لإزالة الإنكار من الحكم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[النمل: 39]، تناول النصّ القرآنيّ هنا (إنّ+ اللام المؤكّدة) بعدما ظهرت علامات الإنكار على سليمان (عليه السلام)، ففي هذه الحوارية أكّد العفريت بمدى إمكانيته على إتيانه بعرش بلقيس بفترة فيها إعجاز تجعل المتلقي ينكر حدوث الحكم، رغم أنّ سليمان (عليه السلام) لم يكن منكرًا لما يمكن للعفريت أن يفعله، فذهب المفسرون في هذه الآية أنّ العفريت دلّ على أنّ القدرة تسبق الفعل لما جاء من إخبار بمدى قوته على حمل العرش قبل أن يجيء به (الطبرسي، 2006، ينظر: 7/ 279).

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[النمل: 49]، جاءت هذه الآية في معرض الحديث عن قوم صالح (عليه السلام) وما كان منهم من الكفر، وفي الآية كما ذكر المفسرون كيد ومكر تجاه صالح (عليه السلام)، ولكون من أرادوا قتل صالح (عليه السلام) وأهله من اللذين عُرف عنهم المعصية وهم من الذين عقروا الناقة، إلّا أنّهم أرادوا بحديثهم تنزيل المتلقي من غير المنكر لأفعالهم إلى المنكر لها، ونقصد هنا للحكم المخبر عنه، وهذا ما تمّ

تاكيده باستعمال امؤكّدات اللفظيّة لإزالة الإنكار (الطبرسي، 2006، ينظر: 7/ 279).

3. تنزيل المنكر منزلة غير المنكر: في هذه الحالة يلجأ المخبر أو المتكلّم إلى معاملة المتلقي المنكر للخبر معاملة المتلقي غير المنكر له، ومنه ما ورد في سورة النمل محل البحث والحواريّة التي جاءت فيه بما رأه الهدهد من السجود لغير الله سبحانه وتعالى، والحوار الذي حصل بينه وبين أهل سبأ من بيان وحدانية الله وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ۝﴾[النمل: 26، 25]، في هاتين الآيتين يتبين لنا مدى وحدانية الهدهد هذه الوحدانية التي نجته من القتل، فلجأ الهدهد حين الإخبار عمّا رأه بمراعاة حال المتلقين من كونهم ينكرون الوحدانية والعظمة الإلهية إلى عدم إنكارها ومعاملتهم وفق هذا السياق (الطبرسي، 2006، ينظر: 7/ 274) (ابن كثير 1998، ينظر: 379).

4. ينزل المنكر منزلة السائل: في هذه الحالة سيحتاج المتكلم إلى استعمال مؤكّد واحد فقط رغم أنّ حال المتلقي هي الإنكار، ومنه قوله تعالى مخاطبًا موسى (عليه السلام): ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝﴾[النمل: 9]، وهذه الحوارية جاءت عند رؤية موسى (عليه السلام) للنار التي أراد أن يأتي بقبس منها وعند ذهابه وجدها نور يسطع من شجرة خضراء، فانتابه الخوف منها، وأنكرها فجاءه الخطاب الإلهي بأنّ يطمئن فإنّ الله عزيز حكيم(الطبرسي، 2006، ينظر: 7/ 274).

مما تقدّم نجدّ أنّ هذا الاستلزام الحواريّ وخروج الخبر عن مقتضى الظاهر هو كما يعبر عنه السكاكي بكونه "وهذا النوع أعني نفث الكلام لا على مقتضى الظاهر، متى وقع عند النظار موقعه استهش الأنفس، وأنق

الأسماع، وهز القرائح، ونشط الأذهان، ولأمر ما تجد أرباب البلاغة، وفرسان الطراد، في ميدانها الرامية في حدق البيان، يستكثرون من هذا الفن في محاوراتهم" (السكاكي، 1979: 263).

ولا يقف الاستلزام الحواري الخبري عما قد تناولناه بل قد يخرج الحوار إلى مقتضٍ آخر، وبمعان مستلزمة أخرى منها(الطبرسي، 2006، ينظر: 7/ 274) (ابن كثير 1998، ينظر: 379):

1. المدح والثناء: فقد يخرج الخبر إلى أسلوب المدح والثناء، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾[النمل: 2، 1]، فهنا نرى أنّه سبحانه وتعالى يذهب بالخبر نحو الثناء والمدح لآيات كتابه المجيد، ووصف الكتاب بالبيان لما فيه من الإعجاز الظاهر والمعاني المكتملة الواضحة للأذهان، بل يتجاوز هذا الحوار الموجه للمؤمنين من كون هذا الكتاب والآيات البينات فيه إنّما هي لهديهم ولتبشيرهم بحسن العاقبة.

2. الدعاء: يعرف إنّ الدعاء هو من الأساليب الطلبيّة الإنشائيّة التي تستعملها العرب، لكن النصّ القرآنيّ خرج بالخبر لمعنى قضوي آخر وهو الدعاء، وبيان ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝﴾[النمل: 8]، فذهب الخطاب هنا بالدعاء للملائكة الموجودين فالشجرة ونورهم الذي وصفه القرآن بأنّه نار لشدة سطوعه، ولموسى (عليه السلام) الذي كان حول النار، فكأن المعنى هنا (أن بارك الله بالملائكة وموسى (عليه السلام))، كما حوّت الآية على أمرٍ آخر وهو التنزيه لله سبحانه وتعالى كي لا يختلق الأمر لدى نبيه فيظنّ أنّ النار هي الباري جلّ وعلا فهو سبحانه بعيد عن التجسيم، فهو سبحانه لا

يحتاج إلى جهة أو عرضًا يحتاج إلى محل أو يكون ممن يتكلّم بآلة (الطبرسي، 2006، ينظر: 7/ 274)، (ابن كثير 1998، ينظر: 379).

3. الالتزام: وهذا من المعاني المستلزمة التي يخرج لها الخبر، وهو بأنّ يلزم المتلقي نفسه بفعل الطلب، ومنه قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾[النمل: 44]، فهنا ألزمت ملكة سبأ نفسها بأن تسلم مع النبي سليمان (عليه السلام) بعدما جاءتها الآيات البينات ورأت من الإعجاز ما رأت مما جعلها فهذا الخطاب أن تعترف بظلمها لنفسها بعبادة غير الله والكفر به سبحانه، وإلزام نفسها بالعدول عن هذا الظلم الذي ظلمته لنفسها وتكون من المسلمين (الطبرسي، 2006، ينظر: 7/ 274).

المبحث الأول: الاستلزام الحواريّ الإنشائيّ:

رأينا في الصفحات السابقة كيف يخرج الخبر عن معناه القضوي إلى معانٍ أخرى، وفي هذا المبحث سنتناول المعاني المستلزمة التي يخرج لها الإنشاء سواء كان طلبيًا أو غير طلبي، فيأخذ معانٍ أخرى غير التي يكون عليها، وفي هذا المبحث سنتناول الإنشاء الطلبي فقط، وتتمثل الطلبيات بـ(الاستفهام، التمني، الأمر، النهي، النداء). وسنتناول في هذا المبحث المعاني المستلزمة لأسلوبي (الاستفهام، والأمر) وذلك لما جاء منهما في سورة النمل مدار البحث، فقد جاءت الأساليب الأخرى لمعانيها الحقيقية من (النهي، والنداء) ولم نجدّ للتمني محلًا في هذه السورة المباركة.

أولًا: الاستفهام: وهو أحد الأساليب الإنشائيّة التي يكون فيها الإنشاء طلبي وهو الأكثر استعمالًا، ويعرّف بأنّه: "طلب معرفة اسم شيء، أو

حقيقته، أو عدده، أو صفة لاحقة به" (سرور، 2008: 2/ 23) ومن المعاني المستلزمة التي يخرج لها الاستفهام (ينظر: تومي، 2019):

1. التعجب: وهنا يخرج الاستفهام عن معناه الطلبي إلى معنى التعجب، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾[النمل: 84]، فخرج الاستفهام هنا للتعجب من الكذب، وعدم الإحاطة بالآيات والمقصود هنا الأنبياء والرسل والكتب المنزلة، وعدم الإحاطة بها، أم ما كانوا يفعلونه حقًا بكفرهم وضلالهم (الطبرسي، 2006، ينظر: 7/ 276)، (ابن كثير 1998، ينظر: 380).

2. الإنكار: قد يذهب الاستفهام إلى معنى الإنكار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ۝﴾[النمل: 67]، ففي الخطاب القرآني خرج الاستفهام بالإنكار بالمعاد فأنكروا أن يخرجوا أحياءً بعدما أصبحوا ترابًا.

3. التوبيخ: وهنا الغرض من الاستفهام هو الخروج للتوبيخ فاستعمل الخطاب القرآني لذلك الاسم (كيف) لبيان الحال، وهو في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ۝﴾[النمل: 69]، والخطاب هنا موجّه للذين كفروا بحالهم وكيف ستكون عاقبتهم.

ثانيًا: الأمر: وهو أحد الأساليب الإنشائيّة التي تكون للطلب، لكن لا يقف هذا الأسلوب عن معنى طلب القيام بشيء كما هو معروف بل يخرج لمقتضيات أخرى أو معانٍ مستلزمة أخرى ليبين مدى بلاغة اللغة العربيّة، خاصة بالاستعمال القرآني لها، ومن المعاني التي يتناولها الأمر ويخرج بها عن مقتضى الحال (ينظر: تومي: 2019):

1. الدعاء: ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا

تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[النمل: 19]، فالأمر هنا بالفعل (أوزعني) خرج للدعاء بالقدرة على إتمام الشكر والعمل الصالح. وكذا الحال مع الأمر (ادخلني) فقد خرج لمعنى الدعاء.

2. النصح والإرشاد: ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[النمل:18]، فالخطاب الذي وجهته النملة لقومها أن يدخلوا مساكنهم هو نصح لهم من أن يصيبهم من جيش سليمان (عليه السلام) ما قد يصيبهم.

3. التعجيز: ومن ذلك ما جاء في النص القرآنيّ من التعجيز بقوله تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[النمل:64]، خرج الأمر هنا باستعمال الفعل (هاتوا) إلى معنى التعجيز لهم، وذلك لكونهم قد أشركوا مع الله ألهة أخرى فجاء الخطاب القرآني مستلزمًا معنى التعجيز لهم بأن تأتي الألهة التي ابتدعوها وعبدوها بأن تأتي بمثل خلق الله، وإن زعموا بذلك فما هو البرهان الذي يدلل على حقيقة كلامهم.

لا تقف الأساليب الإنشائيّة الطلبية عند حدود هذه المعاني أو عند حدود هذه الأساليب لكننا قد تناولنا بالبحث ما قد ورد منها في سورة النمل -كما ذكرنا سابقًا-. إذ أنّ هناك أساليب أخرى وردت في هذا النصّ القرآني لكنها جاءت لمعناها الحقيقي وليس المجازي المتمثل بالخروج على مقتضى الظاهر.

إنّ ما مرّ ذكره في الصفحات أعلاه هو ما يمنحه المتكلّم من اهتمام ومراعاة لمتلقيه، إذ" إنّ علم المخاطَب الذي يحدد مساراته على وفق العلاقة التي تحكمه مع الأطراف الأخرى المرتبطة بعملية التواصل اللغوي،

وهو يتفاوت من شخصٍ لآخر لكونه يتأتى من مصادر مختلفة، وإنّ هذا التنوع محكوم بالعلاقة التي تحكم المتكلّم بمخاطبه والظروف المحيطة به" (الخفاجي، 2008: 61)، وهو ما لمسناه في النصوص القرآنيّة التي وردت في سورة النمل والتي جاء الخطاب فيها مراعيًا لمستويات المتنلقين وحالهم فورد الخطاب مختلفًا بين المؤمن والكافر وطريقة الخطاب فحينما رأينا الخطاب القرآنيّ يبشر المؤمنين بهديهم، نراه في موضع آخر يتوعد الكافرين لكفرهم وتكذيبهم، بل وذكر العذاب الذي هم ملاقوه، وبين النبي المرسل وغيره من العباد، بل ورد الخطاب القرآني مراعيًا منطق الطير والدابة وكيف أنّ لكلّ منهم منطق خاص بهم.

بقي علينا أن نوضح أنّ الخروج على مقتضى الظاهر والخروج من المعنى القضوي المتضمن للقول إلى المعاني المستلزمة أنّ ما ينتج عنها إنّما تكون قوتها الإنجازيّة أقوى فيما لو كانت بمعناها الحرفيّ أو كما يعبر عنها بالمعاني الصريحة، فالمعاني الصريحة تمثل المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وبهذا فهي تشمل (العزيزي، ينظر: 274):

أ. المحتوى القضوي المتمثل في معاني مفردات الجمل فترتبط بعضها ببعض في سياق تركيبي معين.

ب. القوة الإنجازيّة الحرفية وهي التي تؤشر عليها بعض الصيغ مثل الاستفهام.

أما المعاني الضمنية وهي المستلزمة، فهي لا تتحدد بصيغة واحدة من الجمل، لكن ما يؤثر في تحديدها والتوجيه إليها هو السياق من النص، وهي بهذه الحالة تشمل (العزيزي، ينظر: 274):

أ. المعاني العرفيّة وتكون مرتبطة بجملها ارتباطًا يجعلها لا تتغير بتغير السياقات، وتنشطر إلى الاقتضاء والاستلزام المنطقيّ (العزيزي، ينظر: 274).

ب. المعنى المستلزم خطابيًا، ويعرف بكونه" ما يبلغ بعد طرح ما يقال "(موشلار وروبول، 2010: 265)، وهذه المعاني تولد بحسب السياقات التي تنجز فيها الجملة، لذا فهي تسمى بـ(المعاني الاستلزاميّة خطابية أو حواريّة) (العزيزي، ينظر: 274).

الخاتمة:

يعدّ الاستلزام الحواريّ من الموضوعات التداولية المهمة التي عرفها العرب سابقًا تحت منطلق الخروج على مقتضى الظاهر، فقد حظي هذا الموضوع بعناية البلاغيين واللسانيين لمعرفة السياقات التي يخرج لها الكلام: وعليه فقد توصلنا إلى نتائج عدّة أهمها:

- إنّ الاستلزام الحواري أو ما يسمى بالمحادثي وما يشمله من مبدأ التعاون بين طرفي العملية التواصليّة، يعدّ من أهم الموضوعات التي ركّز عليها الدرس التداوليّ الحديث بدأ بالمسلمات التي جاء بها غرايس وما أضافه لها العرب متمثلين بالدكتور طه عبد الرحمن، الذي أضاف لها مسلمات تتوافق مع الفكر العربي ومزايا الجمل العربية والمعاني التي يتناولها العقل العربي.
- إنّ الخطاب القرآنيّ يعدّ من أهم المصادر التي يلجأ لها الدارسين في توضيح المعاني المستلزمة، حيث يتناول هذا النص سياقات متعددة، وأطراف محاورة مختلفين مما يجعل المعاني مكتملة من

جميع نواحيها اللغوية، وهو ليس بغريب على الكتاب الإلهي الذي جاء معجزًا لمتحدثي اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

- إنّ الاستلزام الحواريّ لا يقف عن حدود أسلوب دون آخر، فالخروج عن المعنى القضوي يمكن أن يكون في الخبريات وهذا ما لمسناه في سورة النمل حيث كان أغلب الخطاب يخرج بالخبر نحو معانٍ أخرى.
- إنّ الخطاب القرآنيّ جاي مراعيًا لأحوال المتلقي والانتقال بهد من حالة إلى أخرى بحسب السياق المحدد له. فلاحظنا كيف للنصّ القرآنيّ أن يخرج المتلقي خالي الذهن نحو المتلقي المتردد الشاك، وكيف عالج النص القرآني هذه المعاني.
- كيف تناول النص القرآني المتلقي المنكر والانتقال به إلى الشك باستعمال صيغ لغويّة مؤدية للمعنى المطلوب أو المراد فهمه وتحقيقه.
- لم يقف النص القرآني عند الخبر بل تجاوزه نحو الإنشاء بأن ذهب بالمعاني المقصودة من الإنشاء نحو معانٍ ضمنية أخرى أثرت في قوتها الإنجازيّة، ولاحظنا هذا من خلال أسلوبين فقط وردتا بمعانٍ مستلزمة وهما (الاستفهام، الأمر).
- لم تخلُ سورة النمل الأساليب الإنشائيّة الأخرى لكنها تناولتها على وجه الحقيقة، حيث ورد النهي في السورة بالمعنى الحقيقي له وهو طلب عدم حصول أمر معين بالنهي، ولم يخرج لمعانٍ استلزامية أخرى. وكذا الحال بالنسبة للنداء فقد ورد فقط بصيغة الدعاء وقد ذكرنا في أسلوب الأمر.

- لم يكن للتمني حضورًا في سورة النمل ولهذا لم نقم ببيانه وتفصيل القول به.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت 774هـ). تفسير القرآن العظيم. وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلميّة. بيروت - لبنان. ط1. 1998.
- الخفاجي، د. بان. مراعاة المخاطب في النحو العربي. دار الكتب العلميّة. لبنان - بيروت. ط1. 2008.
- سرور، إبراهيم حسين. المعجم الشامل للمصطلحات العلميّة والدينيّة. دار الهادي. بيروت. ط1. 2008.
- السكاكي، أبو يعقوب. مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت. 1978.
- الطبرسيّ، أبو علي الفضل بن الحسن. مجمع البيان في تفسير القرآن. دار المرتضى. بيروت. ط1. 2006.
- العزيزي، عبده العزيزي إبراهيم، معالم التداولية في كتاب النظرات للمنفلوطي. مؤسسة حورس الدولية. الاسكندرية. د. ط. د. ت.
- موشلار وروبول، جاك وآن. القاموس الموسوعي للتداولية ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية. إشراف عز الدين المجدوب. مراجعة خالد ميلاد. دار سيناترا. تونس. ط1. 2010.

- ناصر، عمارة. اللغة والتأويل. دار الفارابي. ط1. 2007.
- يول، جورج. التداولية. ترجمة الدكتور قصي العتابي. الدار العربيّة للعلوم ناشرون. ط1. 2010.

الرسائل والأطاريح :

- تومي، عيسى. الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني_ سورة البقرة إنموذجًا. مذكرة لنيل شهادة الماجستير كلية الآداب واللغات. جامعة محمد خيضر. بسكرة. د. ت.
- تومي، عيسى. الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني _ مقاربة تداولية في سورة البقرة. بحث منشور في مجلة إشكالات في اللغة والأدب. المجلد 8 العدد 1 السنة 2019.
- علي، فؤاد عجمي. الاستنساخ في التواصل اللغوي قراءة في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسيّ(ت 328هـ). أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية التربية_ الجامعة المستنصرية. 2018